التفكير البلاغي
عند أبي عبيدة معمر بن مثنى٢١٠هـ
في كتابه (مجاز القرآن)

إعـــــداد

عفراء عبدالعزيز الخطابي الحربي

مكة المكرمة ـ جامعة أم القرى

باحثة دكتوراه

تاريخ الاستلام: ٢٠٢١/٦/٣٠م

تاريخ القبول: ١/ ٢٠٢١/٨م

ملخص:

يهدف هذا البحث لتتبع الأفكار البلاغية التي ظهرت في كتاب (مجاز القران) لابي عبيدة معمر بن مثنى، والذي يعد من أهم الروافد البلاغية التي ساهمت في نشأة البلاغة، ويتضح التفكير البلاغي عند أبي عبيدة من تنبهه لكلمة (مجاز) التي سمّى بها كتابه، ولم يقصد (أبي عبيدة) في تفسيره تأسيساً للبلاغة العربية، وإنما عرض لأفكار بلاغية، أتضحت من خلال تفسيره للقران الكريم، فكانت هذه الأفكار لبنة بناء لعلوم البلاغة فيما بعد، ولعل هذا البحث يقف على أبرز الأفكار التي ساهمت في إيضاح فكره البلاغي، مقسماً في مقدمة وثلاثة مباحث (علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع).

Abstract:

This research is to trace the messages presented from the building that appeared in the book (Metaphor of the Qur'an) by Abu Ubaidah Muammar bin Muthanna, which is considered one of the most important rhetorical tributaries that contributed to the emergence of rhetoric. And to make his interpretation clear his interpretation based on Arabic rhetoric, his interpretation of rhetorical ideas, his interpretation of the Holy Qur'an, his interpretation of the Holy Qur'an, the interpretation of ideas as a building block for the sciences of rhetoric later on. and Budaiya science).

المقدمة:

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

إن فهم (القرآن الكريم) من أهم الأسس والأصول لنشأة البلاغة العربية، بل أن من أهم وظائف البلاغة (الكشف عن أسرار القران الكريم ومعرفة مواطن الإعجاز فيه) وسبب تأليف كتاب (مجاز القرآن): " يذكر المؤرخون أن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب سأل أبا عبيدة عن معنى أية من القران ،فأجاب عن السؤال وأعتزم أن يؤلف مجاز القران"[١] " وكان من أهم ما تعرض له القران الكريم قديماً ، أن أسلوبه لا يجري على النمط المألوف عند العرب ولذلك سأله السائل عن معنى الآية (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) وكان الدافع من سؤاله أن القرآن لا يجري على النمط المألوف عند العرب، فالعرب لا تعرف رؤوس الشياطين، فكان هدف أبي عبيدة الموازنة بين القران وبين كلام العرب، ليثبت أن القران جاء على نفس النمط الذي تجري عليه ألفاظ العرب ومعانيهم [٢]، لذلك نجده يختم كثير من القضايا بقوله : والعرب تفعل هذا ، أو وهذا كثير في كلام العرب، يقول في تفسيره لقوله تعالى (إنما أُنزل القرآن ،بلسان عربي مبين): "في القران مثل ما في كلام العربي من وجوه الاعراب ومن الغريب ومن المعاني" [٣]

اسمه ونسبه:

هو معمر بن المثنى التميمي، يُكنى بأبي عبيدة، تعددت ثقافته ولهذا تعددت مؤلفاته وموضوعاته فقد كتب في الأدب والتاريخ والتفسير والحديث والغريب، بل كانت ثقافته تتجاوز الأمة العربية إلى أخبار غير العرب، كما نجده يدرك ما في اللغة والشعر من جمال فني، ويقف عنده، ويقارن الصور الشعرية بعضها ببعض، وينبه على المعاني الجديدة الخاصة بكل شاعر، يقول الجاحظ (لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة).[٤]

منهجه في (مجاز القران)

يتحدث أبو عبيدة في كتابه عن معاني القران، ويفسر غريبه، وفي أثناء ذلك يعرض لإعرابه، ويشرح أوجه تعبيره، وكما جاء في فهرست ابن خير الاشبيلي أن أول كتاب جمع غريب القران ومعانيه هو كتاب أبو عبيدة معمر بن المثنى.(٥)

واعتمد فيه (تفسير القران بالرأي) وهو الامر الذي يتحاشاه كثيراً من المعاصرين له من اللغويين ، فقد تعرض ابو عبيدة لكثير من النقد ، فأثار الفراء الذي تمنى أن يضرب أبا عبيده لمسلكه هذا التفسير ، وأغضب الأصمعي ، ورأى أبو حاتم أنه لا تحلُ كتابة (مجاز) ولا قراءته إلا لمن يصحح خطأه ويبينه، وعلى الرغم من كثرة النقد، ظلَّ (مجاز القران) مرجعاً أصيلاً طوال العصور ، فقد أعتمد عليه ابن قتيبة في كتابه (المشكل) والبخاري في (الصحيح) والزجاج في (معانيه) وابن دريد في (الجمهرة) والازهري في (التهذيب) والفارسي في (الحجة)..وغيرهم(٦).

ويُعد كتاب (مجاز القران) من أهم الروافد البلاغية التي ساهمت في نشأة البلاغة، ولعل التفكير البلاغي عند أبي عبيدة يتضح من تنبهه لكلمة (مجاز) التي سمّى بها كتابه.

ولم يكن المجاز عند ابي عبيدة كالمجاز المقابل للحقيقة الذي اصطلح عليه البلاغيين، وإنما تدل كلمة (مجاز) عنده عن "الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته " وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة. (٧) فهو يستخدم كلمة مجاز عند تفسير آية، أو استشهاد من الشعر، أو توضيح الوجوه الإعرابية، أو اختلاف السياقات اللغوية من تقديم وتأخير وحذف وإيجاز.

ومثل ذلك قوله: مجاز ما أختُصر، مجاز ما حُذف، مجاز ما كفَّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه عل الاثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان على لفظ خبر الناس، ومجاز ما جاءت مخاطبته

مخاطبة الغائب ومعناه مخاطبة الشاهد، ومجاز ما يزاد من حروف الزوائد، ومجاز المكرر للتوكيد، ومجاز المقدم والمؤخر "[٨]

كما نجد أبا عبيدة يهتم بالناحية اللغوية في القران، والاكثار من الاستشهاد بالشعر العربي، والعناية بالجانب اللغوي، وهذا صرفه عن الاشتغال بالقصص القرآني وتفصيل القول فيه، كما صرفه عن تتبع أسباب النزول، إلا عندما يقتضي فهم النص التعرض لذلك.[٩]

فاهتمامه بالجانب اللغوي وتفسيره للمعاني ساهم في إيضاح فكره البلاغي، ولعلي أقف على أهم أصول ومنطلقات التفكير البلاغي عند أبي عبيدة في كتابه (مجاز القران).

إن من أهم الأصول الثابتة والظاهرة عند أبي عبيدة في كتابه (مجاز القران): تفسير القرآن، وشرح معانيه وغريبه، "وعمدته الأولى الفقه بالعربية وأساليبها واستعمالاتها ومعرفة خصائص التعبير فيها "[١٠] ولم يكن يقصد في تفسيره تأسيساً للبلاغة العربية، وإنما عرض لأفكار بلاغية، أتضحت من خلال تفسيره للقران الكريم، فكانت هذه الأفكار لبنة بناء لعلوم البلاغة فيما بعد، **فالأصل عنده (تفسير القران والكشف عن اسراره ومعانيه)** عن طريق الوقوف على قضايا نحوية ولغوية، ساهمت في إيضاح فكره البلاغي.

ولعلي أقف على أهم مباحث علم المعاني عند أبي عبيدة، والتي ساهمت في إيضاح فكره البلاغي.

مباحث علم المعاني في (مجاز القران)

أولاً- التقديم والتأخير:

١- تنبه أبو عبيدة (للتقديم والتأخير) إذ يقول " ومن مجاز المقدم والمؤخر قال تعالى (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) أراد: ربت واهتزت.(١١)

٢- كما استشهد بقوله: (لم يكد يراها) أي: لم يرها ولم يكد.(١٢)

٣- وقوله تعالى: (وما أُهِلَّ لغير الله به) قال: مجازه: وما أهل به لغير الله، ومعناه: ما ذُكر غيرُ اسم الله عليه إذا ذُبح أو نُحر.(١٣)

٤- وقوله: (بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) قال: مقدم ومؤخر، مجازه يعدلون بربهم، أي: يجعلون له عِدْلاً، تبارك وتعالى عما يصفون.(١٤)

٥- وقوله (وأجلٌ مسمّى عنده) قال: مقدم ومؤخر، مجازه (وعنده أجل مسمى) أي: وقت مؤقت.(١٥)

٦- وقوله (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) قال: مجازه: أحسن خلق كل شيء، والعرب تفعل هذا يقدمون ويؤخرون، وقال الراعي: كأن هنداً ثَناياها وبَهْجَتها *** يومَ التقينا على أَدْحال دَبَّابِ، أي كأن ثنايا هند وبهجة هند.(١٦)

٧- وقوله {لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الكُبْرَى} قال: مجازها مقدم ومؤخر، أي لنريك الكبرى من آياتنا، أي من عجائبنا، ومجاز الكبرى: الكبيرة من آياتنا، وقع المعنى على واحدة.(١٧)

٨- وقوله تعالى (فريقاً كذبوا) قال: مقدم ومؤخر، مجازه كذبوا فريقاً.(١٨)

٩- وقوله تعالى (وفريقاً يُقتلون) قال: مجازه: يقتلون فريقاً.(١٩)

وبهذا يتضح التفكير البلاغي عند أبي عبيدة، من خلال تنبهه للتقديم والتأخير في تفسيره للآيات، لكننا لا نجده يُعلل سبب التقديم أو التأخير وإنما اكتفى بالإشارة للفظ المقدم أو المؤخر.، ونراه يكتب عبارة (مجازه مقدم ومؤخر) وهو يريد أن يوضح السياق اللغوي الذي جاءت فيه الآية، وهو بهذا يخالف المجاز الذي اصطلح عليه البلاغيين.

ثانياً- الاستفهام:

الاستفهام من الأساليب الانشائية التي يهتم بها علم المعاني، وقد تنبه أبو عبيدة لظاهرة خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى، من ذلك:

١- قوله تعالى: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا) قال: جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربَّها، وقد قال تبارك وتعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} ولكن معناها معنى الإيجاب: أي أنك ستفعل.

٢- وقال جرير، فأوجب ولم يستفهم، لعبد الملك بن مروان:

ألستم خيرَ مَن ركب المَطايا * وأندىَ العالمين بُطونَ راحِ**

٣- وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب: ألستَ الفاعل كذا؟ ليس باستفهام ولكن تقرير.(٢٠)

٤- وقوله (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِياكُمْ كانَوُا يَعْبُدُونَ) قال: مجاز الألف ها هنا مجاز الإيجاب والإخبار والتقرير وليست بألف الاستفهام بل هي تقرير للذين عبدوا الملائكة.(٢١)

٥- وقوله تعالى: (هَلْ يَجُزْوَنْ إِلا مَا كانَوُا يَعْمَلُون) قال: مجازها هاهنا مجاز الإيجاب وليس باستفهام، مجازه: ما يجزون إلا ما كانوا يعلمون.(٢٢)

٦- : {هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً} أي لا يستوي المثلان مثلا، وليس موضع هل ها هنا موضع الاستفهام ولكن موضعها ها هنا موضع الإيجاب أنه لا يستويان، وموضع تقرير وتخبير، أن هذا ليس كذاك، ولها في غير هذا موضع آخر: موضع قد، قال: (هَلْ أَتى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) معناها: قد أتى على الإنسان.(٢٣)

٧- ومن ذلك قوله تعالى: (أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مْن تَذَكَّرَ) قال: مجاز الألف هاهنا مجاز التقرير وليس باستفهام.(٢٤)

٨- وقوله تعالى (أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ) قال: الواو مفتوحة لأنها واو الموالاة وليست بواو " أو " فتكون ساكنة ولا الألف التي قبلها خرجت مخرج ألف الاستفهام ويه في موضع التقرير[٢٥]

٩- ومن خروج الاستفهام لمعنى (النهي) استشهد بقوله: {أأنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ} قال: هذا باب تفهيم، وليس باستفهام عن جهل ليعلمه. وهو يخرج مَخرج الاستفهام، وإنما يُراد به النَّهى عن ذلك ويتهدد به.[٢٦]

١٠- ومن خروج الاستفهام لمعنى الوعيد والتهديد، استشهد بقوله {أَفَسِحْرٌ هَذَا} ليس باستفهام بل هو توعد.[٢٧]

١١- ومن ذلك قوله تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ) قال: ليس لها جواب استفهام فخرجت مخرج التوعد.[٢٨]

١٢- ومن خروج الاستفهام لمعنى (الإخبار)، قوله (إنَّ الّذِين كَفَروا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أنذرتهم أمْ لَمْ تُنْذِرْهم) قال: هذا كلام هو إخبارٌ، خرج مخرج الاستفهام؛ وليس هذا إلا في ثلاثة مواضع، هذا أحدها، والثاني: ما أبالي أقبلتَ أم أدبرت، والثالث: ما أدري أولَّيت أم جاء فلان.[٢٩]

ثالثاً- الأمر:

الأمر من الأساليب الانشائية التي يهتم بها علم المعاني، وقد تنبه أبو عبيدة لظاهرة خروج الامر عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى، من ذلك:

١- خروج الأمر الى معنى (الوعيد): قال تعالى (أعملوا ما شئتم) قال: لم يأمرهم بعمل الكفر وإنما هو توعد.[٣٠]

٢- خروج الأمر إلى معنى الدعاء، قوله تعالى: (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) قال: مجازه مجاز الدّعاء[٣١]

وبهذا يتضح التفكير البلاغي عند أبي عبيدة من خلال إدراكه للمعاني البلاغية التي تخرج عنها الأساليب الانشائية كالاستفهام والامر، وهذا ما اصطلح عليه البلاغيين في علم المعاني.

رابعاً- الالتفات:

تنبه أبو عبيدة لمفهوم (الالتفات) وهو " التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها[٣٢] لكنه لم يذكره بهذا المصطلح، ومن ذلك:

١- قوله تعالى (آلم)، (ذَلِك الكِتابُ} قال: معناه: هذا القرآن؛ وقد تخاطِب العرب الشاهدَ فتُظهر له مخاطبةَ الغائب.[٣٣]

٢- يقول: ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تُركت وحولت هذه إلى مخاطبة الغائب، قوله تعالى (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) أي: بكم.[٣٤]

٣- ويقول: ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد، قوله تعالى (ثم ذهب إلى أهله يتمطى أولى لك فأولى)[٣٥]

٤- وقوله تعالى (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ) قال: ثم خاطب شاهداً، فقال: (فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ) ومجازه: سيروا وأقبلوا وأدبروا، والعرب تفعل هذا[٣٦]

٥- وقوله تعالى (مالِك يومِ الدين) قال في تفسيره: أنه حدّث عن مخاطبة غائب، ثم رجع فخاطب شاهداً، فقال: (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، اهدنا)[٣٧]

وبهذا يتضح التفكير البلاغي عند أبي عبيدة من خلال عرضه لمفهوم (الالتفات)، في تفسيره للآيات الكريمة.

- **كذلك من الالتفات كما قال بعض البلاغيين، (الانتقال في العدد)**، يقول ابن وهب: "وأما الصرف فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب، ومن الواحد إلى الجماعة" ويقصد بالصرف الالتفات.[٣٨]

وقد ورد هذا الأسلوب عند أبي عبيدة في مجاز القران ومن ذلك قوله:

٦- ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع معنى الواحد على الجميع قال: (يخرجكم طفلا) في موضع أطفالا.[٣٩]

٧- وقوله (وحسُن أولئك رفيقا)، قال: أي رفقاء.[٤٠]

٨- وقوله تعالى (والملك على أرجائها)، قال: في موضع (الملائكة)[٤١]

٩- وقوله: من مجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد قال: (والملائكة بعد ذلك ظهير) في موضع ظهرا.[٤٢]

١٠- وقوله تعالى: (وكلّا جَعَلْنَا صالَحِينَ} {وكل} يقع خبره على الواحد لأن لفظه لفظ الواحد ويقع خبره على خبر الجميع.[٤٣]

١١- وقوله تعالى (وقلنا يا آدم) قال: وهذا شيء تكلمت به العرب، تتكلم بالواحد على لفظ الجميع.[٤٤]

خامساً- الإيجـــاز:

تنبه أبو عبيدة لمفهوم (الإيجاز) وكان يورده أحياناً بمصطلح (الاختصار) يقول " والعرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه فكأنه في تمام القول " ،ومن ذلك:

١- قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِه المَوْتَى} قال: مجازه مجاز المكفوف عن خبره، ثم استؤنف فقال: {بَلْ للهِ الأَمْرُ جَمِيعاً} فمجازه: لو سيّرت به الجبال لسارت، أو قطّعت به الأرض لتقطعت، ولو كُلّم به الموّتى لنُشِرت، والعرب قد تفعل مثل هذا لعِلم المستمع به استغناءً عنه واستخفافاً في كلامهم.[٤٥] فمن خلال تفسيره للآية أتضح أنه يقصد الايجاز لكنه عبّر عنه بقوله (المكفوف عن خبره).

٢- وقوله تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى) قال: مجازه مجاز المكفوف عن خبره.[٤٦]

٣- وقوله تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) قال: مكفوف عن خبره والعرب تفعل مثل هذا.[٤٧]

٤- وقوله تعالى (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فإنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يشَاءُ) قال: مجازه مجاز المكفوف عن خبره لتمامه عند السامع فاختصر ثم استأنف فقال: {فإن الله يضل من يشاء}.[٤٨]

٥- ويقول: ومن مجاز المضمر فيه استغناء عن إظهاره، قوله (بسم الله)، ففيه ضمير مجازه: هذا بسم الله، أو بسم الله أول كل شيء.[٤٩]

٦- وقوله تعالى (وبالوالدين إحسانا) قال: مختصر، تفعل العرب ذلك، فكان في التمثيل: واستوصوا بالوالدين إحسانا.[٥٠] وفي قوله (فكان في التمثيل): يتضح أنه يقصد (تقدير الكلام المحذوف).

٧- وقوله تعالى (قالت عجوزٌ عقيم) قال: مختصر أي أنا عجوز عقيم.[٥١]

٨- قوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) يقول: أي لا تقولوا (هم ثلاثة)[٥٢]

٩- وقوله (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ العِجْلَ) قال: سجوه حتى غَلب عليهم؛ مجازه مجاز المختصَر، أشربوا في قلوبهم العجل: حُب العجل. [٥٣]

١٠- وقوله تعالى (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الذِينَ كَفَرُوا المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عذَابَ الحَرْيقِ)، قال: مجازه مجاز المختصر المضمر فيه وهو بمعنى ويقولون ذوقوا عذاب الحريق، والعرب تفعل ذلك[٥٤]

١١- وقوله تعالى: (وتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكةُ هَذَا يَوْمُكُمْ) قال: مجازه مجاز المختصر المضمر فيه ويقولون: {هذا يومكم}.[٥٥]

١٢- وقوله تعالى (فأمّا الذِينَ اسوَدَّتْ وُجُوههم أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانِكُمْ) قال: العرب تختصر لعلم المخاطَبُ بما أريد به، فكأنه خرج مَخرج قولك: فأما الذين كفروا فيقول لهم: أكفرتم، فحذف هذا واختُصر الكلام.[٥٦]

١٣- وقوله تعالى (احْشُرُوا الَّذِينَ) قال: خرجت مخرج المختصر.[٥٧]

١٤- وقوله تعالى (وإن جاهداك) قال: مجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير كقوله: وقلنا له وإن جاهداك.[٥٨]

١٥- وقوله (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) قال: ومجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير.[٥٩]

والايجاز عند القدماء هو البلاغة، فنجد ابن المقفع في تعريفه للبلاغة يقول " الايجاز هو البلاغة " ولعل في هذا اشارة لإدراك أبو عبيدة لمعنى البلاغة والمتمثل في الايجاز، وهذه من الإشارات الدالة على فكره البلاغي.

سادساً- الأطناب:

تنبه أبو عبيدة (للإطناب) وأورده من غير أن يسميه، ومنه تكرار اللفظ لغرض التوكيد:

١- قال، ومن مجاز المكرر لتوكيد، قوله تعالى: (إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) قال، أعاد الرؤية.[٦٠]

٢- وقوله (أولى لك فأولى) قال: أعاد اللفظ.[٦١]

٣- وقوله (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم، تلك عشرة كاملة)[٦٢] ولم يفسر هذه الآية، لكنه عرضها بعد حديثه عن التكرار للتوكيد، ولعلنا نلحظ أن الآية شاهد على الاطناب الذي فيه إجمال بعد تفصيل لغرض التوكيد.

٤- وقوله تعالى (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِ الْمَوْتَى) قال: مجازها قادر، العرب تؤكد الكلام بالباء وهي مستغنى عنها.[٦٣]

سابعاً- المجاز العقلي:

"وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول." وقد تنبه أبو عبيدة لمفهوم (المجاز العقلي) لكنه لم يذكره بهذا المصطلح، فمن ذلك:

١- قال تعالى (وَالنَّهَارَ مبْصِراً) له مجازان أحدهما: أن العرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل، والمعنى: أنه مفعول، لأنه ظرف يفعل فيه غيره، لأن النهار لا يبصر ولكنه يبصر فيه الذي ينظر.[٦٤] فالعلاقة هنا علاقة (المفعولية) وقد أشار أبو عبيدة لهذه العلاقة في تفسيره للآية.

٢- وقوله: {فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} وإنما يرضى بها الذي يعيش فيها. [٦٥] فالعلاقة هنا علاقة (الفاعلية) وقد أشار أبو عبيدة لهذه العلاقة في تفسيره للآية.

مباحث علم البيان في (مجاز القران)

أولاً- التشبيه:

تنبه أبو عبيده للتشبيه في كتابه مجاز القران، فنجده يوضّح هذا من خلال تفسيره للآيات الكريمة، لكنّه يذكره بأكثر من مصطلح منها (التشبيه، التمثيل، ما أشبه، المُثل)، وبهذا يتضح الفكر البلاغة عند أبي عبيدة فهو مُدرك لمفهوم التشبيه لكنّه لم يصل الى مصطلح محدد.

١- قوله تعالى: (عَلَى شَفَا جُرُف هارٍ) يقول: مجاز شفا جرفِ شَفير، والجرف ما لم يبن من الرَّكايا لها جُول، مجاز التمثيل لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساساً من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق فهو على شفا جرف، وهو ما يجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه.[٦٦]

٢- وقوله تعالى (فمنهم من يمشي على بطنه) قال: فهذا من التشبيه، لأن المشي لا يكون على البطن ونما يكون لمن له قوائم فإذا خلطوا ماله قوائم بما لا قوائم له جاز ذلك، كما يقولون: أكلت خبزاً ولبناً، ولا يقال أكلتُ لبناً.[٦٧]

٣- وقوله تعالى (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) وهو ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل وما أشبه ذلك مما لا ينتفع به في شيء.(٦٨)

٤- {فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ} مجازه مجاز المثل والتشبيه والقواعد الأساس. إذا استأصلوا شيئاً قالوا هذا الكلام، وهو مثل؛ القواعد واحدتها قاعدة، والقاعد من النساء التي لا تحيض.(٦٩)

٥- {فَرَدُّوا أَيْدِيَهمْ في أَفْوَاهِهِمْ} مجازه مجاز المثل، وموضعه موضع كفوا عما أمروا بقوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا، ويقال: رد يده في فمه، أي أمسك إذا لم يجب.(٧٠)

٦- وقوله تعالى (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ} قال: كناية، وتشبيه، قال: {فَأتُوا حَرْثَكُمْ أنَّى شِئْتُمْ}.(٧١) ففي تفسيره يتضح الخلط بين الكناية والتشبيه، واكتفى بذكر المصطلحين دون أن يوضح قصده من الكناية أو التشبيه، ومن هذا يتضح ادراكه لأسلوب بلاغي لكنه لم يستطع تحديده، ربما لأن علم البلاغة لم يظهر في عصره.

ثانياً- الاستعارة :

تنبه أبو عبيدة لمفهوم الاستعارة، لكنّه لم يتنبه للمصطلح، ويتضح هذا المفهوم من خلال تفسيره للآيات الكريمة واستشهاده بالأبيات الشعرية.

١) قوله تعالى (نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) قال: نميزه منه فنجئ بالظلمة {فَإِذَ هُمْ مُّظْلِمُونَ} أي: يقال للرجل: سلخه الله من دينه.(٧٢)

٢) قوله (وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} مجازه: ولا تقلب وجهك ولا تعرض بوجهك في ناحية من الكبر ومنه الصعر الذي يأخذ الإبل في رؤوسها حتى يلفت أعناقها عن رؤوسها قال عمرو بن حنة التغلبي:

وكنا إذا الجبارُ صعَّر خدَّه * أَقمنا له مِن مَيْله فتَقَوَّما**

والصعر داء يأخذ البعير في عنقه أو رأسه فيشبه به الرجل الذي يتكبر على الناس.(٧٣)

وهنا استعارة مكنية شبه المتكبر بالبعير حذف المشبه به واتى بشيء من لوازمه وهو (تصعر)، فنجده يعرض لمفهوم الاستعارة من خلال تفسيره، لكنه لم يذكرها بمصطلح البلاغيين.

ثالثاً- المجاز المرسل:

١- قوله تعالى (وأسأل القرية) قال: مجازها أهل القرية.(٧٤) فهو مجاز مرسل بعلاقة المحلية.

٢- وقوله تعالى (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) قال: أهل مجلسه.(٧٥) فهو مجاز مرسل بعلاقة المحلية.

فمن خلال تفسيره للآيات يتضح أنه تنبه لمفهوم المجاز المرسل كنّه لم يتنبه للمصطلح.

رابعاً- الكناية:

١- أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ} قال: كناية عن إظهار لفظ قضاء الحاجة في البطن.(٧٦)

٢- وكذلك قوله تبارك وتعالى {أَوْ لَمسْتُمْ النّسَاء} قال: كناية عن الغشيان.(٧٧)

ففي الأمثلة السابقة يتضح الفكر البلاغي لأبي عبيدة من خلال إدراكه لمفهوم الكناية البلاغية، وقد تأتي الكناية عنده بمعنى الضمير وكثير ما نجدها في كتابه مجاز القران ومن ذلك:

٣- {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} المعنى للشمس وهي مضمرة.(٧٨)

٤- وقوله تعالى (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهمْ لهَا خَاضعِينَ) قال: زعم يونس عن أبي عمرو أن خاضعين ليس من صفة الأعناق وإنما هي من صفة الكناية عن القوم التي في

آخر الأعناق فكأنه في التمثيل فظلت أعناق القوم في موضع (هم) والعرب قد تترك الخبر عن الأول وتجعل الخبر للآخر وربما يقصد بالتمثيل (التقدير)

٥- وقوله: {إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} قال: مجازه: مجاز إياك نعبد لأنه بدأ بالكناية قبل الفعل. يقصد بالكناية الضمير المقدم، وقوله مجازه مجاز أحياك نعبد إشارة لأسلوب للتقديم والتأخير.

٦- يقول: ومن مجاز الكنايات في مواضع الأسماء بدلاً منهم، قوله تعالى (إنما صنعوا كيد ساحر) فمعنى (ما) معنى الاسم، ومجازه إن صنيعهم كيد ساحر.[٧٩]

٧- وقوله تعالى (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ} مجرور بالجوار لمِا كان بعده {فِيهِ} كنايةٌ للشهر الحرام.[٨٠]

مباحث علم البديع

اللف والنشر

١- قوله تعالى (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) قال: مجازه: لتسكنوا في الليل ولتبتغوا في النهار من فضل الله.[٨١]

فمن خلال تفسيره للآية يتضح أنه تنبه للمفهوم لكنّه لم يتنبه للمصطلح

الخاتمة:

وفي الختام يمكن القول إن كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة من أهم الروافد البلاغية التي ساهمت في نشأة البلاغة، كما أتضح التفكير البلاغي عند أبي عبيدة والمتمثل في القضايا البلاغية في علم المعاني والبيان والبديع من خلال تفسيره للقران الكريم ومقاربته لكلام العرب.

وخلاصة ذلك في النقاط التالية:

١- إن كلمة (مجاز) عند أبي عبيدة لا تعني المجاز البلاغي الذي يقابل الحقيقة، وإنما تعني الطرق التي استخدمها القران في تعبيراته.

٢- أتضحت بعض من المصطلحات والمفاهيم البلاغية عند أبي عبيدة منها (الايجاز، التقديم والتأخير، الكناية، التشبيه، خروج الاستفهام والأمر عن معناه الحقيقي إلى غرض بلاغي).

٣- كما تنبه لبعض المفاهيم البلاغية لكنه لم يتنبه للمصطلح منها (الاستعارة، الاطناب، الالتفات، اللف والنشر، المجاز المرسل، المجاز العقلي).

٤- أهتم أبو عبيدة بالقضايا النحوية في كتابه وأهمها قضية الإعراب وعلاقته بالمعنى.

٥- كثيراً ما يختم تفسيره للآيات الكريمة بقوله (والعرب تفعل هذا، أو وهذا معروف عند العرب) فغايته من ذلك؛ الإثبات بأن القران نزل بلغة العرب.

٦- من الإشكاليات التي واجهتني (تكرار لفظ معين من الالفاظ مع اختلاف دلالته من موضع لآخر) من ذلك، لفظ (التمثيل: نجده مرة يدل على التشبيه ومرة يدل على التقدير ومرة للاستعارة، ولفظ الكناية: نجده مرة للضمير وأخرى يقرنها بالتشبيه، ولفظ المجاز نجده مره يدل على التشبيه ومرة على التفسير وأخرى على الغريب والتأويل.

الهوامش

(١) أبي عبيدة معمر بن المثنى ،مجاز القران، علق عليه: محمد فؤاد سزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي، الجزء الأول، ١٩٥٤م، ص١٦.

(٢) د.عبدالقادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، القاهرة، دار غريب للنشر، ٢٠٠١م، ص١٩ .

(٣) أبي عبيدة ، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٨.

(٤) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٩،ص١٢.

(٥) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٨.

(٦) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٧.

(٧) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٩.

(٨) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٨–ص١١.

(٩) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٩.

(١٠) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٦.

(١١) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٢.

(١٢) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٢.

(١٣) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٤٩.

(١٤) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٨٥.

(١٥) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٨٥.

(١٦) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٣٠.

(١٧) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٨.

(١٨) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٧٣.

(١٩) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٧٣.

(٢٠) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٣٥.

(٢١) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٥٠.

(٢٢) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٤٩.

(٢٣) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٨٧.

(٢٤) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٥٦.

(٢٥) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٣٣.

(٢٦) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٨٩.

(٢٧) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٢٣١.

(٢٨) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٨١.

(٢٩) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٣١.

(٣٠) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٩٧.

(٣١) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٤٩.

(٣٢) الخطيب القزويني ،الايضاح في علوم البلاغة، شرح :محمد خفاجي ،المجلد الأول، بيروت ،دار الجيل .الطبعة الثالثة،١٩٩٣م،ص٨٥.

(٣٣) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٨.

(٣٤) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١١.

(٣٥) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١١.

(٣٦) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٥٢.

(٣٧) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٣.

(٣٨) إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب أبو الحسين،البرهان في وجوه البيان، تحقيق : حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، ص١٢٢.

(٣٩) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٣١.

(٤٠) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٣١.

(٤١) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٩.

(٤٢) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٩.

(٤٣) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٤٠.

(٤٤) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول،ص٣٨.

(٤٥) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٣٣١.

(٤٦) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٢٣٦.

(٤٧) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٩٢.

(٤٨) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٥٣.

(٤٩) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٠.
(٥٠) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٢٦.
(٥١) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٢٢٧.
(٥٢) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٤٤.
(٥٣) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، صص٤٧.
(٥٤) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٤٧.
(٥٥) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٤٣.
(٥٦) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٠٠.
(٥٧) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٦٨.
(٥٨) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١١٣.
(٥٩) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٩٨.
(٦٠) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٢.
(٦١) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٢.
(٦٢) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٢.
(٦٣) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢١٣.
(٦٤) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٧٩.
(٦٥) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٧٩.
(٦٦) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٢٦٩.
(٦٧) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٦٨.
(٦٨) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٥٩.
(٦٩) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٣٥٩.
(٧٠) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٣٣٦.
(٧١) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٧٣.
(٧٢) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٦١.
(٧٣) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٢٧.
(٧٤) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٤٧.

(٧٥) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٣٠٤.
(٧٦) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٥٥.
(٧٧) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٥٥.
(٧٨) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٨٢.
(٧٩) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص١٥.
(٨٠) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٧٢.
(٨١) أبي عبيدة، مجاز القران، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١١٠.

المراجـــــــــع

١- أبي عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القران، علق عليه: محمد فؤاد سيزكين، القاهرة، مكتبة الخارجي، الجزء الأول، ١٩٥٤م.

٢- إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب أبو الحسين، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة.

٣- الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، شرح: محمد خفاجي، المجلد الأول، بيروت، دار الجيل. الطبعة الثالثة،١٩٩٣م.

٤- د. عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، القاهرة، دار غريب للنشر، ٢٠٠١م.

٥- روضة عبد الكريم فرعون، إعجاز النظم القرآني في آيات التشريع، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ،٢٠٠٢م.